

تعريب العلوم الإنسانية في التعليم الجامعي

دراسة تحليلية لأبعادها ومراحلها
من المنطلق إلى التسيق إلى التوحيد

للكوثر رُشدي فكار

بالوسائل فاعلية العلوم وتوظيفها بتحديد مضامينها ،
واكتساب المعرفة التكنولوجية وتطبيقها ، بمد
استثناسها في شكل فوري قادر على استغلال خيرات
الطبيعة ، وتنجير طاقات غطاء الانسان لا سلبياته
وهذا لا يتأتى الا بفضل استيعاب موضوعي لتدرات
العلوم وواقع التكنولوجيا في هذا العصر نظريا ،
وعمليا ، وتطبيقيا .

ولا جدال ان الخطوات التي قطعت في طريق
التعريب تبشر بالخير ، فبعد الاجيال السابقة التي أدت
دورها في حدود متطلباتها التي أملتها الضرورة وبجهد
فردى ، جاءت أنشطة المؤسسات الثقافية والاكاديمية
لتؤهل لارضية التعريب التي تحمل مكتب تسيق
التعريب في الوطن العربي ، رغم إمكاناته المحدودة
مسؤولياتها بتسيقها ومنهجتها لتعطي باكورة العمل
الجاد في اطار علوم الطبيعة في شكل المعجم الاول
الموحد . وهذا بدوره يدعو الى المزيد من تكثيف
الجهودات الواعية المتبصرة بعمق في قضية التعريب
انطلاقا من الشعور بالمسؤولية لدى كل مثقف عربي
امام هذه القضية المصرية .

والتزاما منا بهذا المبدأ نقدم ، من خلال هذا
العرض المركز ، تصورنا على ضوء تجربتنا الجامعية ،
وخبرتنا المتواضعة في علوم الانسان ، لاشكالية التعريب
في هذه العلوم ، مبتدئين بطرح الاشكالية وابعادها
لننتقل الى تحديد مراحلها المختلفة من مرحلة المنطلق
بمفويتها ومجازماتها التي أملتها الضرورة ، ما لها وما

تمهيد : التعريب قضية مصرية بالنسبة لعالمنا
العربي وليست هامشية :

غنى عن التعريف اننا نعيش في عصر تحدد فيه
معايير تقدم الامم بقدر ما لديها من عطاء علمي ، ومعرفة
تكنولوجية ، وتبنى لخصائص الارتقاء ، دون ان تفقد
ذاتيتها واصالتها ، ولقد استطاعت بعض المجتمعات
ان تتصدر حاليا ، لجرد انها تملك وسائل التقدم هذه ،
اي الارتكاز اساسا على العلم ، والتكنولوجيا ،
والصناعة ، دون ان تكون لها ثروات طبيعية او بشرية ،
بينما عالمنا العربي وقد حياه الله بالثورات الطبيعية
والبشرية ، وخصه بذاتية انسانية ، اشرقت حضارتها
على الارض عبر قرون طوال ، متوكل في خطواته
الوظيفية وفي تبنى معايير التقدم ، فهو يواجه حاليا
من بين ما يواجه من مشاكل وظيفية قضية الاولويات
بمعنى كيفية تصنيف اشكالياته بين اساسية حيوية بها
يبدأ ، وثانوية غير فورية تتحمل الانتظار ولا تتمعد
مع الزمن .

ولا شك ان اشكالية التعريب في محيط العلوم ،
والتربية ، والثقافة بصفة عامة في تصورنا تتصدر من
بين الاشكاليات الاساسية الحيوية الفورية لعالمنا
العربي ، باعتبار ان عوامل الاعاقة لا تتجسد بالضرورة
في عدم عطاء طبيعة ارضه او مقومات حضارته او ذاتية
البشرية ، بقدر ما تتجسد في توعكه حيال امتلاك وسائل
تقدم العصر لا اساسه وجوهه لانه مالك لها ، ونعنى

عليها ، الى مرحلة التنسيق المنهجي وكيفية التغلب على العوائق على ضوء الامكانيات الميسرة الى مرحلة التوحيد كهدف حتى منشود للنهوض بامتنا وتحقيق تقدمها باستعادة مجدها التليد علميا .

المبحث الاول

طرح اشكالية تعريب مصطلحات علوم الانسان من خلال ابعادها المختلفة

منطلق الاشكالية فرضته الضرورة واملته الحاجة :

اذ من المعروف انه مع ظهور المجلات الثقافية في العالم العربي منذ القرن الماضي والتطلع الى الفكر الغربي ومحاولة التعرف على بعض مظاهره ، ثم مع تأسيس الجامعات العربية ، والرغبة في تبني المعطيات الاكاديمية المعاصرة في الجامعات الغربية ، سادت بعض هذه المعطيات فلسفية ، وعلمية ، وتكنولوجية تأخذ طريقها الى ثقافتنا العربية ، سواء في شكل مصطلحات معربة او مترجمة ، او في شكل مضامين تأثر بها المثقون . وكما كان الحال في تجربة سابقة عرفتها امتنا من قبل حين الاحتكاك بفكر اجنبي تمثل في الحضارة الاغريقية وما حولها ، فقد تباينت المواقف في المحيط الفكري على مستوى الشكل والمضمون ، بين متحمس متقبل لها قلبا وقالبا ، وبين رافض لها شكلا ومضمونا ، وبين موافق بين القبول والرفض ، متقبل للشكل قائل بالموافقة مع المضمون الحضاري العربي المسلم ، او متقبل للمضمون الاغريقي قائل بشكلية الموافقة على مستوى القوالب والصياغة العربية الاسلامية .

غير انه يلاحظ في تجربتنا التاريخية مع الحضارة الاغريقية وما حولها انها جاءت في وقت كان جسد الامة العربية الاسلامية في قمة اشعاعه وعطائه فإستأنس الاحتكاك وروضه ليخضعه للمضامين الاسلامية تفنيدا او تعزيزا ولم نجد في المحيط الفكري آنذاك مزيجا او متنكرا لحضارته الاسلامية العربية ، وانما كانت الاشكالية منسبته على مستوى اوليات النهج بين الالتزام والمرونة ، بين الوحي وقداسته والعقل والاحتكام اليه في اطار التكامل والمطاء . فلم تحل المضامين الاغريقية محل المضامين الاسلامية ، ولم تصبح المصطلحات الاغريقية وسيلة لتحريف لغتنا العملاقة وقهرها .

وكان ما كان من مواجهات رصينة في مشرق امتنا العباسي ومغرب امتنا الأندلسي ، وخرجت حضارتنا من التجربة (من الغزالي الى ابن رشد) من الالتزام الى مرونة الاحتكام العقلي ، محصنة مشرقة معطاءة غزت ببصيرتها وفعاليتها جذور حضارة الغرب التي تعيش اليوم ، والتي جاءت الينا تعيد كرة الفكر الاغريقي ، مع الفارق بين الامس واليوم ، فامتنا حاليا تعيش التجربة وجسدها مسخن بالجراح من ضربات كملت لها ذات اليقين وذات اليسار ، ومع هذا عليها ان تخوض مواجهة الاحتكاك بالفكر الاجنبي متجاوزة

لجروحها ومتكسبة لوظائف حضارة العصر . دون ان تنتقل اليها جرائم تعيق جروحها هذه ، وتعتمد لها فورية الالتئام .

بمواجهة اليوم اذن لا تختلف عن مواجهه الامس الا في مدى قدرة جسد امتنا على تكيف الاحتكاك لصالحه ، ولما فيه تدعيم لذاتيته واصالته . لا اهتزازها او اذابتها ، لان منطلق التجربة المعاصرة في مرحلتها الاولى منذ مشارف القرن الماضي ، رغم ما قدم من ايجابيات نجده في محيط التعريب قد تحكمت فيه العنوية واملت عليه الضرورة سلوكا جزائيا ارتجاليا لم يخضع لتقنين التخصص والاختصاص ، ولم يميز بين التعريب ومضمونه ، ولا بين ايجابياته وسلبياته في اثنائها ، وهذا ما سوف نجمله في المبحث التالي من هذا العرض .

المبحث الثاني

مرحلة المنطق للتعريب المعاصر

ما لها وما عليها

ارتكزت مرحلة منطق الاحتكاك بالفكر الاجنبي المعاصر منذ بدايتها على الجهد الفردي ، والعمل انشخصي ، والاجتهاد العفوي ، ولم يك منتظرا منها اكثر من ذلك (اذا ما استثنينا التجربة انجادة في الترجمة لرفاعة الطحطاوي في مصر عبر القرن الماضي كما اشرنا الى ذلك تفصيلا في مؤلفنا عن اصول العلاقات الثقافية بين فرنسا والعالم العربي المنشور في باريس بالفرنسية) اذا ما وضعت في اطارها التاريخي ، حيث الاستعمار جائم على جسد امتنا في مشرقها ومغربها ، ولم يترك لها امكانيات التنفس الا بحسبان ، حرصا على مصالحه واستمرارية استغلاله ، فما وصل الينا من جهد في ميدان المجلات الثقافية العربية التي اهتمت بالفكر الغربي منذ القرن الماضي ، او ما تم في الجامعات العربية بعد تاسيسها يبرز لنا مدى تحكم الضرورة ، في تعريب المصطلحات شكلا ومضمونا ، باعتبار ان المصطلحات هي مفاتيح الفكر ومعاله .

فراينا في محيط الفكر العربي الحديث ما عاشته امتنا من قبل حين مواجهة الفكر الاجنبي ، بين متحمس له ومتبني دون تبصر ، وبين رافض له ملتزم بارضيته الحضارية العربية الاسلامية لا تزمتا ولكن خشية من مقنعات الاستعمار الرابطة على ارضه وخلفياته ، فعداء الاستعمار بالنسبة للاتجاه الرافض كل لا يتجزأ وبين اتجاه ثالث توالد بعد ذلك على ضوء الاتجاهين السابقين رغم مرونته فهو ملتزم بجوهر حضارته ، ولكنه مفتتح على حضارة الآخرين . وتاريخنا الفكري الحديث يعطى لنا الكثير حول هذا الموضوع ، غير اننا نكتفي باستنتاج المواقف لهذه الاتجاهات دون سرد لتطورها وابعادها تفصيلا .

الاتجاه الأول : استلزم بحضارة الغرب واعمت بصيرته عن واقع أرضه ، وتعلق بها تعلق الفریق الذى رأى فيها نجاته فانجذب بها بدلا من تقنينها ولم تتجاوز نظرتهم لها السطحيات منها ، وانعكس ذلك على اطار التعريب فجاء لديه مرتجلا يعبر عن انجذابه اكثر ما يعبر عن واقع حضارة الغرب وادى بالضرورة اتجذابه هذا بحضارة الغرب ، الى تنكره لحضارته وعدم اكتشاف عطاء لغتها وقدرتها ، فهو كمثل الذى لا أرضا قطع ولا ظهرا ابقى . سطحية وارتجال وغبوية فى تحمسه لحضارة الغرب وسطحية ايضا فى معرفته لحضارته العربية الاسلامية . ومن يطالع المجلات الثقافية والادبية العربية فى القرن الماضى يلفت نظره هذا الاتجاه فى غبويته ، وعدم دراسته على عكس ما تم فى تجربتنا السابقة مع الفكر الاغريقى بالنسبة للمتحمسين لها فلم ينفهم تحمسه آنذاك الى درجة الاستلاب بها ، والتفكر لاسلامهم ومقوماته الحضارية .

اما الاتجاه الملتزم الرافض لحضارة الغرب ، والتعامل معها ، باعتبار ان المستعمر لا يمكن معاداته وفى نفس الوقت تقبل انكاره ، فقد تحمسن مثلثوه بحضارتهم الاسلامية العربية ولغتهم تلبا وقالبيا ، وبالتالي لم يك لهم دور ملحوظ يذكر فى منطلق الاحتكاك بالفكر الاجنبى الحديث لرفضهم له اساسا من حيث المبدأ .

بقى الاتجاه الثالث التوفيقى ، وقد نضج مع تأسيس الجامعات ، وتبلور منذ مطلع هذا القرن ، ودعته الجامعات بعد ذلك وهو يحاول التوفيق انطلاقا من المعرفة بحضارته والالتزام بها ، مع تغذيتها بما هو ايجابى فى حضارة الغرب ، ولكنه وجد صعوبة فى شق طريقه نظرا للظروف السياسية والاقتصادية والتربوية والاجتماعية بصفة عامة بل استحالة عليه التحرك فوق ارض حضارية وان كانت متكاملة فى انتمائها لكن ممزقة فى ميولها يسمى الخصم جاهدا ان يعمق فرقتها فيضيف الى فرقتها السياسية فرقة ثقافية وبالتالي واجه هذا الاتجاه التعريب بقدرات مجزأة مفتتة غير متناسقة ، ومشتتة ليس فقط على مستوى الاقطار العربية ، متعددة بتمعدها ، ولكن ايضا على مستوى القطر الواحد ، وانعكست عليها تناقضات العالم العربى بدلا من ان تكون وسيلة من وسائل امتصاصها وتجاوزها .

ومن ثم ففترة المنطلق باتجاهاتها الثلاثة لم تشكل ارضية رصينة للتعريب تتطور فى صورة ايجابية ، وانما اضحت عائقا علينا ان نبذل الآن جهدا فى تجاوزه لنخلق جوا مناسبيا ، وموائما لتعريب جدى منسق ، متكامل موحد ، بل اضافة الارتجال فى المنطلق الى قضية التعريب فى حد ذاتها ، قضية التخلص من مجازفاته وتجاوز سلوكه المشتت الجزء المتعدد . فالناظر الى حال ما عرب خلال مرحلة المنطلق يجد خليطا من

مصطلحات ، ان كان بعضها يغطى شكلية التسمية فكثرا ما تتناقض مع مضامينها ، بل نجد احيانا مصطلحا واحدا تقابله مصطلحات متعددة بقدر تعدد اقطار العالم العربى . حتى ان بعض هذه المصطلحات فرغ من محتواها .

ولقد اتجه البعض امام هذا الالتباس الى نقل المصطلح معريا ، دون التاكيد من وجود مقابل عربى له ، ودون التزام بالمقاييس اللغوية فى تعريب المصطلح من حيث تقبله سماعيا واخضاعه ليس فقط للمقاييس القاعدية للغة العربية ، بل وللمقاييس الجمالية والايقاعية ، واكثر من هذا نجد فى بعض الاحيان نفس المصطلح يستعمل مرة معريا واخرى بمقابل ، ولقد تفشت هذه الظاهرة اخيرا ومرددا دون شك تصور المنطلق فى خلق ارضية تعريب محددة ، ومنسقة ، وموحدة . نعنى كمثل لهذه الظاهرة : السوسولوجيا او علم الاجتماع ، السيكولوجيا او علم النفس ، الانثروبولوجيا او علم الانسان او علم السلالات البشرية ، او علم الاجناس . علم التربية او البيدغوجيا . علم السكان او الديمغرافيا مع ان هناك تباين بالنسبة لهذا المصطلح الاخر بين النظرية العامة للسكان والديمغرافيا كدراسة لكم السكان حركيا او قاريا .

ولقد ادت هذه الظاهرة ايضا الى التباس فى المضامين تحت تعدد المسيمات ، واصبحت تشكل عائقا بالنسبة لعطاء العلم ومعالجته ومنهجه ووضوحه ، فالعلم اساسا يرفع الالتباس لا يعطيه .

ومع هذا لا ننكر ان فترة الانطلاق رغم مجهوداتها الفضولية مهدت على الاقل لنا الطريق ، ولولا فضولها لتأخر التعرف على الكثير من هذه العلوم الحديثة سواء طبيعية او انسانية . ولا شك ان التعريب ، وقد تجاوز مرحلة المنطلق حاليا وتطلع الى مرحلة التنسيق سوف يشق طريقه ، من خلال مكتبه بالرباط ، وان يحصر المراحل جاهدا بفضل تعاون مختلف المؤسسات الثقافية والجامع الاكاديمية المهمة بهذا الموضوع . وسنحاول فى البحث التالى طرح تصورنا لمرحلة التنسيق هذه ، على ضوء ما هو كائن مع الاشارة الى كيفية التغلب على العوائق التى ورثناها من المنطلق ، لنصل الى النهاية الى ما يجب ان يكون ونعنى بذلك مرحلة التوحيد .

البحث الثالث

من مرحلة تنسيق التعريب فى العلوم الانسانية وكيفية التغلب على العوائق ، الى مرحلة التوحيد

التعرض لمرحلة تنسيق التعريب فى العلوم الانسانية يلزمنا فى البداية وقبل الخوض فى تفاصيلها بابداء ملاحظتين اساسيتين : الاولى خاصة بتحديد موضوعى موجز لما نعنى بالعلوم الانسانية والثانية

شخصيا نميل مع العلامة « جورفتش » في مناهج العلوم الى اعطاء « العلوم التاريخية » منهجا قائما بذاته في الشرح يعتمد على تخصيص وانفرادية الاحداث والوقائع في رصد مالا يتكرر .

ونكتفى بهذا التوضيح لنعود الى ما تبقى من تصنيف العلوم الانسانية ، ونعني بذلك النوع الثالث باعتبار ان هناك : (1) علوم اجتماعية خاصة تعتمد في الشرح على المنهج التحليلي بناء على قاعدة او نسق للاحالة ، واعطينا امثلة منها . (2) وعلوم تاريخية لها منهجها التخصصي (باستثناء الاتجاه الماركسي في شرح التاريخ) يهدف في علم التاريخ الى تصحيح التاريخ لاثبات صحته بفضل الاحتكام لتعدد العوامل والمصادر ، وتحكيم البيئة في تنقية وغريبة ماضي في حاضر اصبح ماضيا بدوره . او تحليل التاريخ كما هو الحال في فلسفة التاريخ بعد التأكد من صحة وقائمه واحدائه لا قبل ذلك (كما التبس على البعض) لانه لا يمكن فلسفة تاريخ لم تثبت صحته ، اللهم الا اذا كان الهدف فلسفة اهواء المؤرخين وتذوقاتهم وميولهم . (3) العلوم السوسولوجية ونعني بها السوسولوجيا ونظريتها العامة نشأة وتطورا واتجاهات معاصرة ، وفروعها التخصصية العملية والميدانية كالسوسولوجيا الاقتصادية ، والسياسية ، والحضرية ، والريفية ، والصناعية ، والدينية . الخ . ومن حيث الشروح في هذه العلوم السوسولوجية هناك الاتجاه البنيوي الوظيفي الذي يعطى اهمية لفورية شبكة العلاقات الاجتماعية كفعل ورد فعل ولا يركز على الخلفيات التاريخية والمتنعات المضمرة ، والاتجاه الديالكتيكي الاستقصائي الذي يركز على التناقضات وشموليتها انطلاقا من الواقع كما هو بخلفياته ومقدماته . اما علم النفس والانثروبولوجيا وبقية العلوم البينية (بين بين) فالشروح بنوية وظيفية او ديالكتيكية تنطلق من الانتهاء للاتجاهات . وان كنا نميل الى الحاق السيكولوجيا الاجتماعية بالسوسولوجيا في الشروح بينما سيكولوجية الطفل نحتكم فيها للاستيمولوجيا النشوئية او التحليل لمرحل النمو النفسي ، (فرويد اويونج) .

اما موضوع هذه العلوم الانسانية فهو بدوره تتحكم فيه العلاقات والبنيات والوظائف اكثر ما تتحكم فيه قوانين طبيعية حتمية (1) الانسان وعلاقته بماضيه (التاريخ) (2) بحيطه (الجغرافيا والايكولوجيا) (3) بالآخرين شكلا وكما (الديمغرافيا) (4) بالتقاليد والعادات والاعراف لتحقيق تجانسه (الانثروبولوجيا) تراثية ثقافية او اجتماعية (بخلاف الانثروبولوجيا الطبيعية) (التي تركز على التاريخ الطبيعي للانسان) (5) بوسائل التوصيل والتعبير والرموز والعلامات والاشارات (العلوم اللغوية) (6) بالضبط الاجتماعي حقوقا وواجبا ووسائل الردع (العلوم القانونية) (7) بثروته انتاجا وتبادلا واستهلاكا (العلوم الاقتصادية) (8) بالسلطة (علم السياسة) (9) باغواره وشعوره كمرد وتأثره في

خاصة بوضع التعريب بين هذه العلوم ، والرياضيات والعلوم الطبيعية التجريبية . الخ ، فبالنسبة للاولى حينما نصنف استولوجيا المعارف بهدف تقنينها لا الاكتفاء بتنظيرها كما هو الحال في نظرية المعرفة او تحليلها كما هو الحال في فلسفة العلوم ملتزمين نسي التتبعين بمنهجيتها وتصنيفها ، نجد ان المعرفة العلمية تلتزم بتعريف التفكير الرياضي المؤدى الى اليقين على انه مسيرة استدلالية من فروض او مسلمات بديهيات وتعريفات ومصادر (منذ اقليدس) والمنطق الصوري لارسطو الذي هو ضرب من التفكير الرياضي ايضا بقدرات مسلم بها للوصول الى نتائج يبينها التجريب في العلوم الطبيعية في العصر الحديث تعرفه على انه دراسة انطلاقا من اساس تعميم المبادئ على ظواهر بعد وصفها لتعليلها وتخريجها اعتمادا على الملاحظة المباشرة المخبرية حيث يمكن عزل الظاهرة معمليا والسيطرة عليها وقياس كم جزئياتها وبالتالي اجراء التجارب بهدف الوصول الى اكتشاف القوانين الطبيعية المسيرة لها ، وكيفية تطويرها ، واعطاء النتائج الملتزمة بحتية هذه القوانين او تصحيحها او تخطئتها ، او تحويلها . الخ ، ومن حيث الشرح والتحليل والتفسير يعتمد في ذلك منهجيا كما ذكرنا على اساس التعميم للبيادى مع تنوعه وتكيفه في كل علم على حدة .

اما بالنسبة للظواهر التي لا يمكن عزلها معمليا والسيطرة عليها في المخبر كالظواهر الانسانية حيث تحكم الصفات الذاتية ايضا او الثانوية كالقيم الاخلاقية والجمالية والوجدانية والمشاعر والروحانية فيلجا فيها الى تعدد الملاحظة ابتداء من الملاحظة غير المباشرة كالملاحظة الوثائقية (نسبة الى وثائق) والتاريخية والاحصائية والمقارنة . كذلك يمكن استثناس الملاحظة المباشرة التجريبية في بعض مناحيها « كسيكولوجية الظل مثلا ، وما يمكن توفير شروط التجريب فيه واكتشاف الصفات الاولية الثابتة الموضوعية» له وينصب الهدف اساسا لا على اكتشاف قوانين (كما زعم البعض) على الاقل نسي المرحلة الحالية من هذا القرن ، وانما اكتشاف العوامل المهيئة للسببية بفضل التكرار والانتظام بين عوامل اساسية وثانوية ويلعب الاحصاء حاليا دورا هاما نسي ذلك . اما من حيث الشرح والتحليل والتفسير ، فلا يعتمد كما هو الحال في علوم الطبيعة على اساس التعميم للبيادى وانما تصنف علوم الانسان بين علوم استطاعت ان تحدد لها قواعد او انسقة كما هو الحال في العلوم اللغوية ، والعلوم الاقتصادية ، والعلوم القانونية ، اتفق عليها ويطلق عليها منهجيا العلوم الاجتماعية الخاصة . ويمكن ان تلحق بها الديمغرافيا والجغرافيا ، وكذا العلوم التاريخية (حسب التحليل الماركسي للتاريخ وربه بانسقة تاريخية تكيفت حسب علاقات وقوى الانتاج لتحديد انماطه وتؤول به الى حتمية يلمها الصراع الطبقي حول بنية المجتمع) وان كنا

المجتمع (العلوم النفسية) (10) بالآخرين لا شكلا وكما ،
وانما مضمونا وكيفا في الاسرة والجماعة والطبقة
والمجتمع من خلال كل ابعادها ونتاجاته شموليا
(السوسولوجيا وفروعها التخصصية) حيث لا تطرح
العلاقات في اطارها النوعي وانما في تناقضاتها الشمولية
لسد قصور شروح العلوم الاجتماعية الخاصة حين
تأزمها ، بجانب دراسة الانسان لا كمرد في حد ذاته
وانما انطلاقا من وحدته الاجتماعية اسرية او جماعية ،
او طبقية او مجتمعية ، [1] بخالفه ومصيره بهدف
توافق الرؤية الدينية والعلمية لا احلال احدهما بدلا من
الآخر ، العلوم الدينية في تصورنا الاسلامي لها . اما
الدين في جوهره (الاسلام مثلا) فسوف يبقى اساسا
متجاوزا لكل فلسفة وعلم اللهم الا لدى المتجاهل او
الجهول .

وعلى ضوء هذه الملاحظة الاولى من خلال نظرة
مركزة لمفاهيم علوم الانسان ننقل الى الملاحظة الثانية
الخاصة بوضعية التعريب بين هذه العلوم من جهة
والرياضيات كالحساب والهندسة والجبر وعلوم الطبيعة
التجريبية الفيزيائية والكيميائية . . . من جهة اخرى .
التعريب للمصطلح كى يتم في صورة علمية لا بد وان
يهتم بفزيولوجية المصطلح اهتمامه بمرنولوجيته ، اى
يهتم بوظائف المصطلح من خلال مضامينه بقدر اهتمامه
بشكله وبنيتة من حيث المقابلة والمعادلة . بل من الخطأ
طرح المقابلات اللغوية والمعادلات جزافيا . فكل مصطلح
له حياة ووظائف الى جانب بنيتة ، نجدها في الرياضيات
تحددها الفروض والرموز العددية الحسابية وما
اسطها وادقتها وفي العلوم الطبيعية تحددها بسهولة
التجارب المخبرية او تلميها الملاحظة التي ولدتها وانشأتها
من لدن الباحث ، بل ان بعض المصطلحات في علوم
الطبيعة ولدت على ضوء المضمون لا ان المضمون حدد
باستعمالها كما سوف نلاحظ في بعض مصطلحات علوم
الانسان . ومن هنا كان راينا ان التعريب في العلوم
الطبيعية اكثر بساطة لان مضامينه محددة اساسا ولا
تتغير بتغير المجتمعات خصوصا ما جد في عصور التطور
العلمي الحديث واكتشافاته واختراعاته ، فلا يمكن ان
يبحث عن تاريخ مجهول لمصطلح ابتكر مع ابتكار مضمونه
بناء على التجربة او الاكتشاف .

اما ما سبق من مصطلحات في علوم الطبيعة عرفتها
الحضارات السابقة ، ففي هذه الحالة يحال الى
اطارها التاريخي حين التحديد شكلا ومضمونا مع
اضافة ما جد فيه من اجتهاد ، كمثال المصطلحات التي
عرفتها حضارتنا الاسلامية العربية في ميدان العلوم
الطبيعية والكيمياء واجتهادات جابر ابن حيان ، المفروض
وفاء منا لحضارتنا ان نعيدها الى ارضيتها بمصطلحات
عربية اساسا مع الاشارة الى ما حدث لها من تطوير
وتطور في الحضارة العلمية المعاصرة . اما ما جد فنكتفى
بتعريبه شكلا ومضمونا ، لان البحث عن مقابل او
معادل يعنى اختلاق موازي لمصطلح ، له بدوره حياته

وظائفه ، والحكم على مصطلح مبتكر بانه له مضمون
تاريخي في لغة اخرى ، وهنا تكون امام مصطلحين لا
مصطلح واحد احدهما بلا ماضى لانه مبتكر والاخر بلا
حاضر او مستقبل لانه يعيش التجربة التي آلت الى
توليد المصطلح . وقد يبدو هذا التناقض واضحا نسي
المصطلحات التي تحمل اسماء مبتكرها او اسم التجربة
موضع المصطلح . فكيف يوضع لهذه المصطلحات في هذه
الحالة مقابل عربي . اذن تعريب بكل بساطة شكلا
ومضمونا .

وهكذا نرى ان تبسيط قضية تعريب مصطلحات
الرياضيات والعلوم الطبيعية بتبني نهج التعريب شكلا
ومضمونا لما هو جديد سوف يساعد على الاتجاه بنا الى
المعاصرة العلمية ولا نعيش في زمان متراجع عن زمانه .
حين نعرف مضامين تجاوزها زمانها . فمن المعروف
ان العلوم الطبيعية والبحث والرياضية بفضل التقدم
في المعرفة التكنولوجية المعاصرة تعيش في زمن
سوسولوجي سابق لزمانه .

اما بالنسبة لقضية التعريب في علوم الانسان او
العلوم الانسانية فالوضع يختلف حيث الرابطة في بنية
المصطلح المرفولوجية تنعكس عليها وظائفه في الحياة
الانسانية والاجتماعية ولا تحددها تجربة عملية ومن
ثم فكل مصطلح انساني له صفاته الذاتية يعيش معطيات
بيئته الاجتماعية ويمبر عنها قيميا ، او افكار ، او موافقا ،
او ادوارا ، بل وتنعكس عليه ايضا الخبرة الثقافية
والحضارية لكل امة فهو يجسد وجدان شعبي وعبقريته .
وبالتالي تبني المصطلحات الانسانية يطرح اول ما يطرح
مبدأ الموازنة بين المضامين مضمون المصطلح في لغته
الام ثم كيفية خلق مضمون محدد له في ارضيته الجديدة
يعبر عن واقعه لا واقع ما نقل عنه . فتعريب
مصطلحات الانسانيات خصوصا في اهمها . العلوم
التاريخية ، والسوسولوجية ، والسياسية ،
والاقتصادية والنفسية والدينية والانثروبولوجية ، وحتى
الفلسفة والقانون (بالنسبة لشريعتنا الاسلامية الخالدة)
لا بد ان تنطلق فيه معايير تحديد المضمون من ارضيتنا
بعد الاشارة في البداية الى مضمونه في لغته . اما اذا
تبيننا مضامينه في لغته الام فسوف يصبح وسيلة من
وسائل مسح حضارة امتنا وعطائنا تحت شعار تجديدها
وتحديثها .

وبالتالي مقاييس التعريب في الرياضيات والعلوم
الطبيعية غير مقاييس التعريب في علوم الانسان ، فهذا
النوع الاخر لا يكفى فيه مجرد التخصص النوعي
للمعرب (بكسر الراء) وانما يتطلب منه قدرة وعمقا
في تعرفه على ابعاد حضارته ولغته ، بقدر عمقه في
الحضارة واللغة المعرب عنها . السى جانب التزامه
الصادق بوجدان امته ، وعقيدتها وعبقريتها شعوبها ،
والا آل التعريب الى غير ما يرجى منه ، واصبح يغطى
خلفيات ومقنعات مبيته سلفا .

أما الخطوات الموضوعية العملية للتعريب فسي
الإنسانيات تحت راية التنسيق توطئة لتوحيد المصطلحات
فنددها كما يلي :

الخطوة الأولى : تتم خلالها عملية الحصر والجدونة
للمعاجم الموسوعية التي ظهرت في اللغة العربية ،
خصوصا ما تبني منها لأكثر من لغتين (أي العربية
والفرنسية والإنجليزية) نظرا لتفاعل
العالم العربي مع الثقافتين الفرنسية
والإنجليزية ، ثم بعد ذلك الألمانية وغيرها ، الى جانب
الاهتمام بمضامين المصطلحات أي شرح وظائفها ومعانيها
لا مجرد معاجم لغوية تكتفى باعطاء المقابل ، وخلال
عملية الحصر هذه تصنف هذه المعاجم الموسوعية بين
ما ينتفع به أساسا وما ينتفع به نسبيا وما يستبعد . ثم
يطبع هذا التصنيف التحليلي ليوزع على الجامعات
والمؤسسات الثقافية كدليل في هذه المرحلة الوقتية في
انتظار ظهور المعاجم المنسقة الموسوعية الموطنة للمعجم
الموسوعي الموحد في فروع العلوم الإنسانية الأساسية
بالنسبة لحضارتنا مبتدئة بالمعجم الموسوعي الموحد في
العلوم الإسلامية والتاريخية ، ثم المعجم الموسوعي
الموحد في العلوم السوسولوجية والنفسية والأنثروبولوجية
ثم المعجم الموسوعي الموحد في العلوم القانونية
والسياسية والاقتصادية ، الى جانب الفروع الكاملة
لهذه العلوم ولكن قبل أن نصل الى هذه المرحلة النهائية
للتعريب علينا أن نمر بالخطوة الثانية والثالثة .

الخطوة الثانية : تعنى حصر وجدولة لا للمعاجم
وانما للمصطلحات وهذه بدورها تصنف في قسمين من
حيث المصادر ومن حيث النوعية ، أما المصادر فتصدر
فيها : (1) المجامع اللغوية العربية وما اتفق عليه ،
(2) تكمل بمصطلحات اكتسبت مشروعيتها من حيويتها
اليومية في المعاجم الموسوعية التي وضعت كاستجابة
لضرورة التعليم وفوريته من قبل القائمين على التجربة
اليومية في الجامعات ودور العلم .

أما التقسيم النوعي للمصطلحات فنعنى به :
(1) مصطلحات لها حياة تاريخية منبثقة من ذاتية أمتنا
وعقريه تراثنا ووجدان شعوبنا ولها مضامينها التي
ارتضيها كمثل : دين ، أمة ، فلسفة ، ثقافة ، تراث ،
نبي ، رسول ، الحاد ، شرك ، ظلم ، حد ، الحرمات ،
أخلاق ، معنويات ، نية ، وجدان .. الخ ، فمن الخطأ
الانطلاق من المضمون الأجنبي وتبنيه ولكن يحدد المضمون
من خلال تجربتنا الحضارية ثم يشار الى مضمونه في
حضارة الغير المعاصرة ثم يعطى التخريج للمضمون وذلك
في أسطر محددة . (2) أما المصطلحات الأخرى للعلوم
الإنسانية التي ليست لها حياة تاريخية محددة في حضارتنا
وانما وليدة الاجتهادات العلمية في حضارة الغرب
خصوصا في الأنثروبولوجيا والسيكولوجيا والسوسولوجيا
والاقتصاد فمن حيث الشكل للمصطلح من الأولى أن
يبحث عن مقابله العربي واذا تعذر اشتق أو عرب
بكل بساطة ان كان قابل لذلك من حيث تقبله سماعيا .

أما المضمون فيحدد في البداية حسب معطياته الحضارية
ثم تقوم بعملية مواعة له مع ما يتمشى ومعطيات
حضارتنا كمثل مصطلح اشتراكية ، رأسمالية ،
ليبرالية ، شيوعية ، ايدولوجية .. الخ ، يبدأ بتحديد
مضمونه عندهم ثم تبدأ عملة المواعة والتكيف حسب
ذاتيتنا الحضارية وذلك بطرح تصورنا لمضمونه حسب
قيمنا وعطائنا ، ثم تتم عملية التخريج للمصطلح ، وذلك
في أسطر معدودة ، ولقد التزمنا بذلك في معجمنا
الموسوعي العالي للعلوم السوسولوجية والسيكولوجية
والأنثروبولوجية الذي نحن بصدد أخراجه حاليا لدى « دار
النشر الباريسية جتزر » .

أما الخطوة الثالثة : فهي تنطلق من وجود هذه
المعاجم الموسوعية المنسقة (بكسر السين) بين العلوم
الإنسانية ، والمنسقة (بفتح السين) بين الانطوار
العربية تسليما مبدأ التعدد في هذه المرحلة مع الاتجاه
بها الى الامتصاص والاذابة ، أي امتصاص التنوع
والتعدد الموجودين حاليا ، في الاستعمال العلمي
للمصطلحات ، لنخلق حدودا في البداية بين الاستعمال
الأولى المباح في كل مصطلح ، وما تبني علميا من هذا
الاستعمال بمضمون معين يغطي استعمال علمي محدد ،
اذ من الصعب الانطلاق مباشرة الى توحيد المصطلح
دون المرور بمرحلة تنسيقية وسطية واعية بالتركة التي
ورثتها ويمكن أن نسميها مرحلة المعاجم الموسوعية
المنسقة (بكسر السين) لتؤول للمعجم الموسوعي الموحد
في كل مجموعة علوم ببنية أساسية من المجموعات الثلاث
السالفة الذكر في العلوم الإنسانية ومع الاجيال القادمة
يتم تعميق ما وحد على ضوء التطورات العلمية وتوالد
علوم ببنية جديدة ..

وكخلاصة : ان كانت هناك عوامل اعاقه
ورثناها في الفترة المعاصرة فقد ورثنا أيضا حوافز الدفع
والثقة عبر قرون من تاريخنا ، فمقيدتنا المشتركة لدى
غالبية الأمة العربية ايماننا وديننا ، ولدى الأمة برمتها
حضاريا ، ولغتنا العربية القادرة بما اعطت علميا ،
ومعاناتنا وامجادنا التاريخية الواحدة التابعة في وجدان
كل انسان منا ، تجعلنا ننظر الى غد التعريب بقدره
واصرار ولن يكون بحال أداة للتريف والزيغ ، وانما
مصلا للحصانة والمقاومة في سبيل بقاء الذات وتجاوز
المواجهة الحضارية لتكون في طبيعتها وحملتها لرايتها .
غير أنه لا يمكن للتعريب كما تصورناه في الصفحات
السابقة أن يعزل عن بقية الاهتمامات الثقافية الكاملة
له والمدمعة لمعطائه ونمى بذلك :

1 - الاهتمام بنشر امهات التحف المشككة لثروتنا
الحضارية فمنها نستقي المضامين الاصيله واعادة ما
نشر في اطار متكامل بدلا من القطع المتبورة التي لا تشكل
تيارا فكريا فنحن في أشد الحاجة حاليا الى نظرة شمولية
متكاملة لمعطائنا الحضاري كما هو الحال في حضارة
الغرب الآن ، ثم تسهيل تداول هذه التحف في طبقات
ميسرة وبسطة للشباب ، وهذا بدوره يدعونا الى اعادة

سلب شبابنا من ذاتيته وتعريفه من انتماؤه ، وتشكيكه في أرضيته .

وفي النهاية ان الامل الكبير ليراودنا في ان « منظمة الثقافة والتربية والعلوم » بما لها من جدارة ، وما عليها من مسؤولية ، سوف تسمى بجهوداتها النيرة البناءة للمساهمة في بناء الانسان العربي ثقافيا وعلميا بتوحيد معاجمه ومعرفته ، واعادة صياغة عطاء حضارته ، وتغذيته بايجابيات الفكر الانساني المعاصر ، هذا الامل الكبير الذي يبرره ما حققت هذه المنظمة حاليا ، ومكتب تنسيقها ، من عطاء موضوعي نعمت به جميعا ، وبحثنا من جانبنا على الاسهام ، لا الوقوف في موقف المتفرج ، في هذا الجهد تمهيدا للطريق التي سوف تشقها اجيال الغد الصاعدة لتسير ثابتة رائدة لامتها في كل دروب المعرفة ، ومن سار على الدرب الصحيح وصل .

دكتور رشدي فكار

النظر في تاريخنا - كما نكرر ذلك دائما - لانه لا يمكن استشارة تحف حضارية خالدة في غيبة تاريخ علمي مفلسف لها ، وهذا يتطلب القيام بعمل جماعي متكامل يرصد مراحل تطور امتنا مصدرا لانجازاتها الفكرية في تطور الانسانية حتى نعطي ثقة لبراعمنا ورجال الغد في حضارتهم ، دون أهواء او تذوقات شخصية لكل مفكر على حدة ، من خلال خلفيات المؤرخين ونزعاتهم .

2 - ترجمة امهات الانتاج الانساني العالمي الحديث والمعاصر من زاوية اختياراتنا الحضارية وما يتمشى وتدعيم تراثنا وذاتيتنا ، وذلك بتقديم النظريات العامة لحضارة اليوم الغربية وقدراتها المنهجية لا ترك الساحة الفكرية للترجمات التجارية والمببئة والموجهة بهدف